المظروف الأبيض

تأليف
د / حسام العقاد

رسوم
محمود الأعصر

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

توطدت الصداقة بينى وبين رياض، منذ استلامى العمل فى إحدى الشركات، ورياض رجل دمث الخلق، حسن الطباع، لاتفارق الابتسامة شفتيه أبدا، يعامل العملاء بأخلاقه الحسنة، ويسعى دائما إلى خدمتهم، وسرعة إنجاز مطالبهم.

ولكن رجلا واحد كان يثير غضبه وثورته كلما رآه، مما آثار دهشتى، وعندما سألته ذات يوم:

- رياض.. لماذا تعامل هذا الرجل هذه المعاملة السيئة؟

أجاب فى ضيق:

- إن الأوراق التى قدمها لنا تحوى مخالفات جسيمة، وهو يريدنى أن أغض الطرف عنها، مقابل مبلغ كبير..

- رشوة؟!.. وكيف ستتصرف معه؟

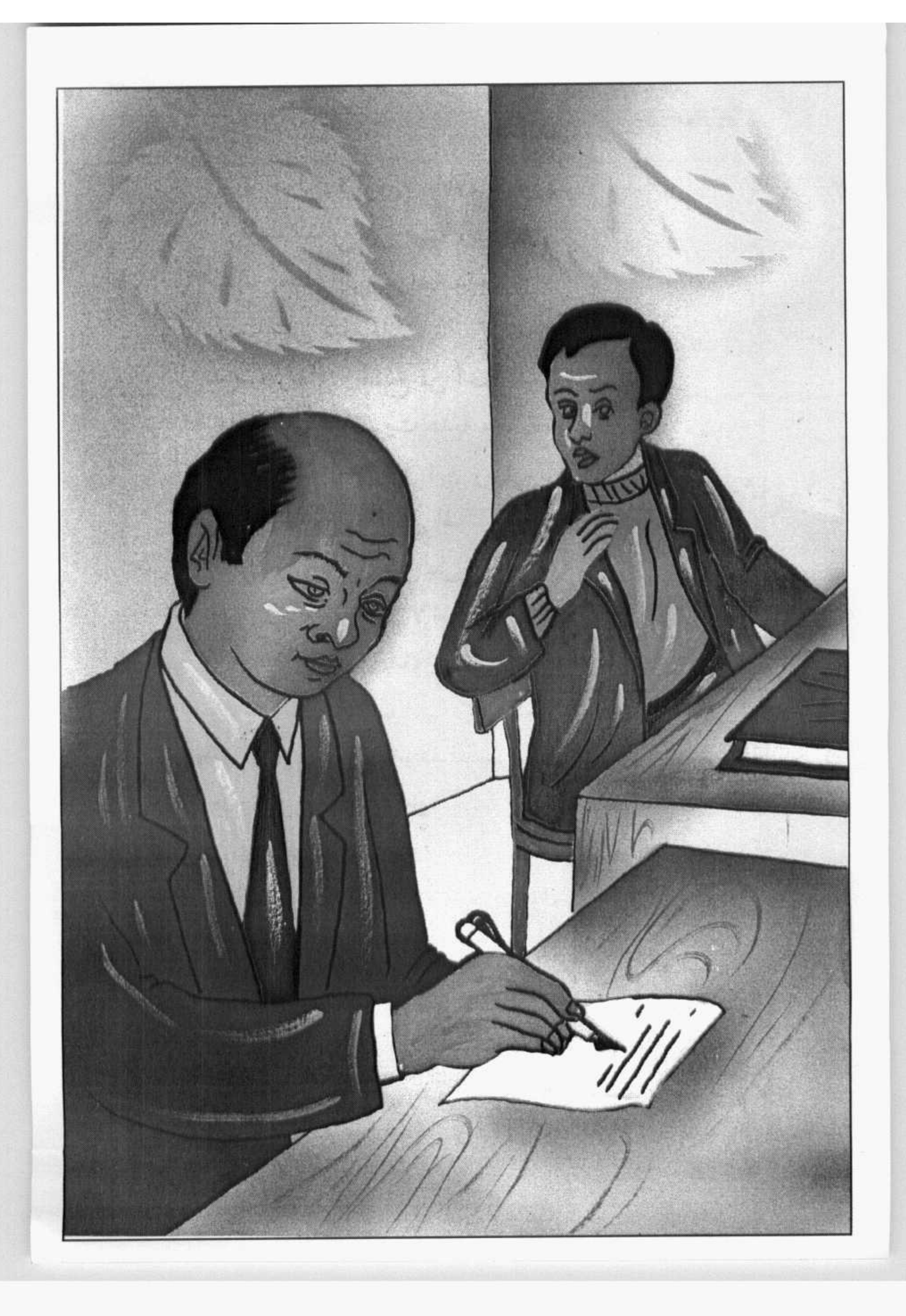
- إنى أشك أن بعض أوراقه مزورة، وعندما أتأكد سأبلغ الشرطة.

ونسيت أمر هذا الرجل تماماً، حتى فوجئت برياض ذات يوم حزينا، يطل الأسى من عينيه، وتنبض المرارة فى نبرات صوته، وعندما سألته عما به، أجاب فى اقتضاب:

- ابنى الوحيد مريض.

سألته فى جزع:

- لا حول ولاقوة إلا بالله، ماذا أصابه؟



ترقرت الدموع فى عينيه وهو يقول:

- إنه يحتاج إلى جراحة عاجلة.

ربت على كتفه قائلا:

- سيجريها، ويصبح فى أحسن حال إن شاء الله.

وبعد العمل، اشتريت هدية مناسبة، وقدمتها لابنى قائلا:

هذه الهدية لحسن، ابن زميلى رياض، إنه مريض، وسنذهب لزيارته الآن فى المستشفى.

وغادرنا المنزل، وفى الطريق قلت لابنى هيثم:

- أتعرف حق المسلم لأخيه؟

هز هيثم رأسه إيجابا، وقال فى إيمان:

- لقد علمتنى قول النبى ﷺ: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»[1].

نظرت إليه فى حب، وجذبت يده، لنعبر الطريق، وقلت:

- هل تعلم من ستجد عند حسن ونحن نزوره؟

هز رأسه نفيا، فقلت:

- الله سبحانه وتعالى.

صاح فى انفعال:

- أهذا معقول؟ كيف يا أبى؟

أجبت قائلا: - يوم القيامة يعاتب الله المسلم الذى لم يزر

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخارى (٣/ ١٢٤٠).



مسلما مريضا، ويصور لنا النبى ﷺ هذا قائلا:

« إن الله عز وجل يقول يوم القيامة:

« يابنى آدم مرضت فلم تعدنى! »

قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: « **أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده؟** »[1].

هتف هيثم فى انبهار:

- الله يا أبى، من يعرف ذلك، ولايزور المريض؟

قلت وأنا مستمر فى السير:

- ولزيارة المريض ثواب عظيم، فقد قال النبى ﷺ: « **إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع** »

قيل: يارسول الله وما خرفة الجنة؟

قال: «**جناها**»[2]. ويعنى بجناها: ثمرها.

فالمسلم وهو يزور أخاه المسلم كأنه يسير بين ثمار الجنة حتى يعود للمنزل.

وليس هذا هو الثواب الوحيد، بل يجعل الله سبعين ألف ملك يصلون على المسلم وهو يزور المريض، لقول النبى ﷺ: « **مامن مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه**

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم(٢٥٦٩).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم(٢٥٦٨).


بسم الله الرحمن الرحيم
وإذا مرضت فهو يشفين
صدق الله العظيم

سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن عادة عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة»[1].

والخريف هو ثمر الجنة.

ووصلنا إلى المستشفى، ودخلنا غرفة المريض، ورأيناه ممددا على الفراش، وبجواره والده، فتقدمت نحوه وأنا أقول: « **لا بأس طهور إن شاء الله** »[2].

وصافحت حسن، ودعوت الله فى سرى قائلا: « **اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف وأنت الشاف، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**»[3].

وقدم هيثم الهدية لحسن، وقال فى سره:

- «**أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم،أن يشفيك**»[4].

وقضينا معهما وقتًا قصيرا، ثم استأذننا فى الانصراف.

ومرت الأيام، ورياض يبدو دائما حزينا مهموما، وذات يوم، دخل الرجل الذى يثير دائما غضب رياض المكتب،

---

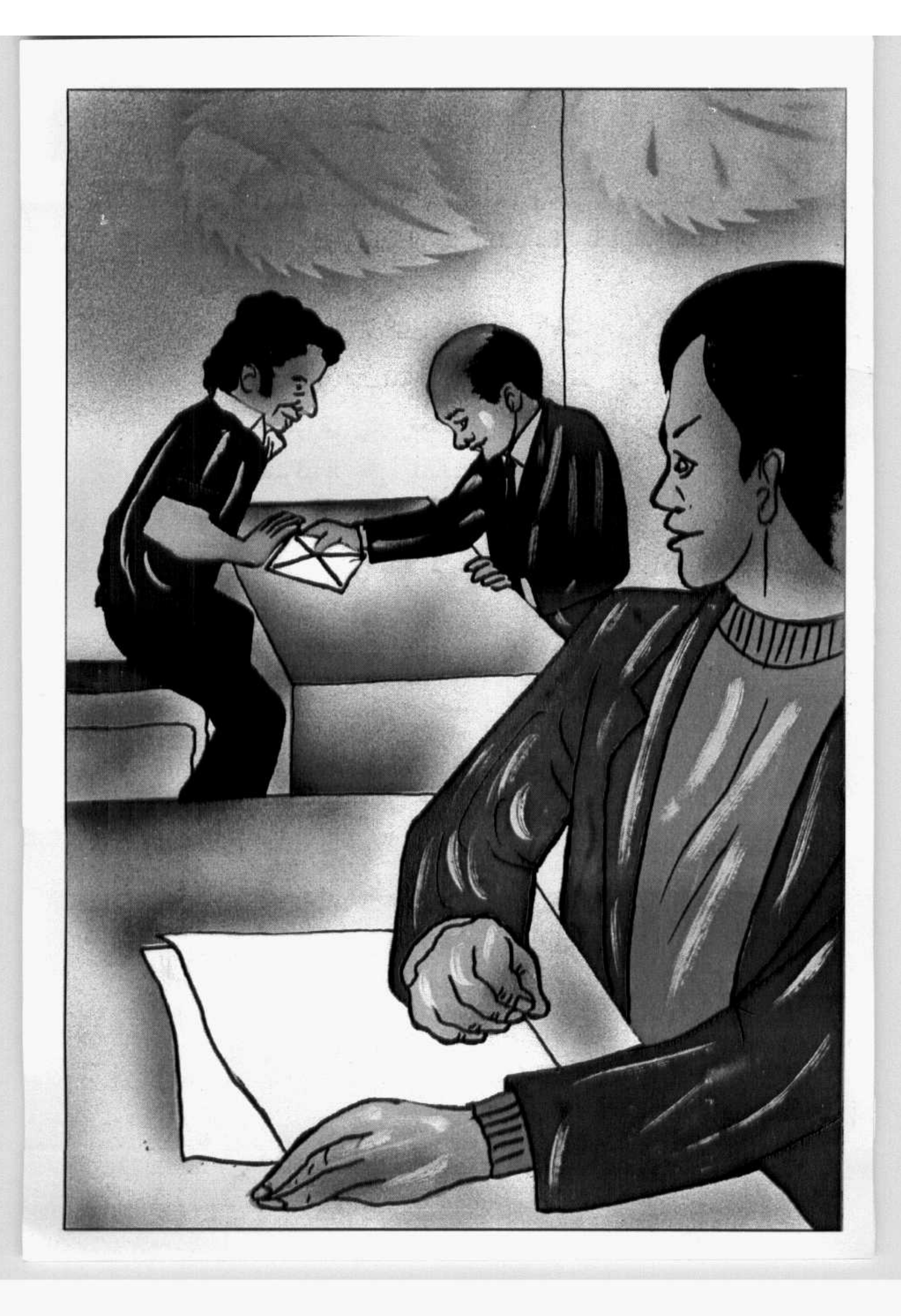
(١) **حديث صحيح**: أخرجه الترمذى (٩٦٩).

(٢) كان النبى يقول هذه الكلمات إذا زار مريضاً. **حديث صحيح**: أخرجه البخارى (١٠/٥٦٥٦).

(٣) دعاء يقال للمريض. **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٩١).

البأس: الشدة: يغادره: يترك . السهم: المرض.

(٤) قال النبى ﷺ : «**من عاد مريضا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسال الله العظيم رب العرش العظيم، أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض**». **حديث صحيح**: أخرجه الترمذى (٢٠٨٤).



فتوقعت أن يطرده، أو يثور عليه، ولكنى فوجئت به يدعوه للجلوس، ثم رأيت الرجل يقدم مظروفا أبيض ممتلئا إلى رياض الذى قال فى مرارة:

- سأنهى كل أوراقك غدا.

وارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى الرجل، وأخذ رياض المظروف بيد مرتعشة ودسه فى جيب سترته.

وانصرف الرجل، فسألت رياض.

- ماهذا المظروف يارياض؟ وما سر..

قاطعنى رياض قائلا فى صوت ملؤه الحزن والأسى:

- إنه الثمن.

- أى ثمن؟

- ثمن شفاء ابنى الوحيد... ثمن أدفع مقابله غاليا من شرفى وأمانتى.

وانسابت دمعة من عينيه، فصحت مستنكرا:

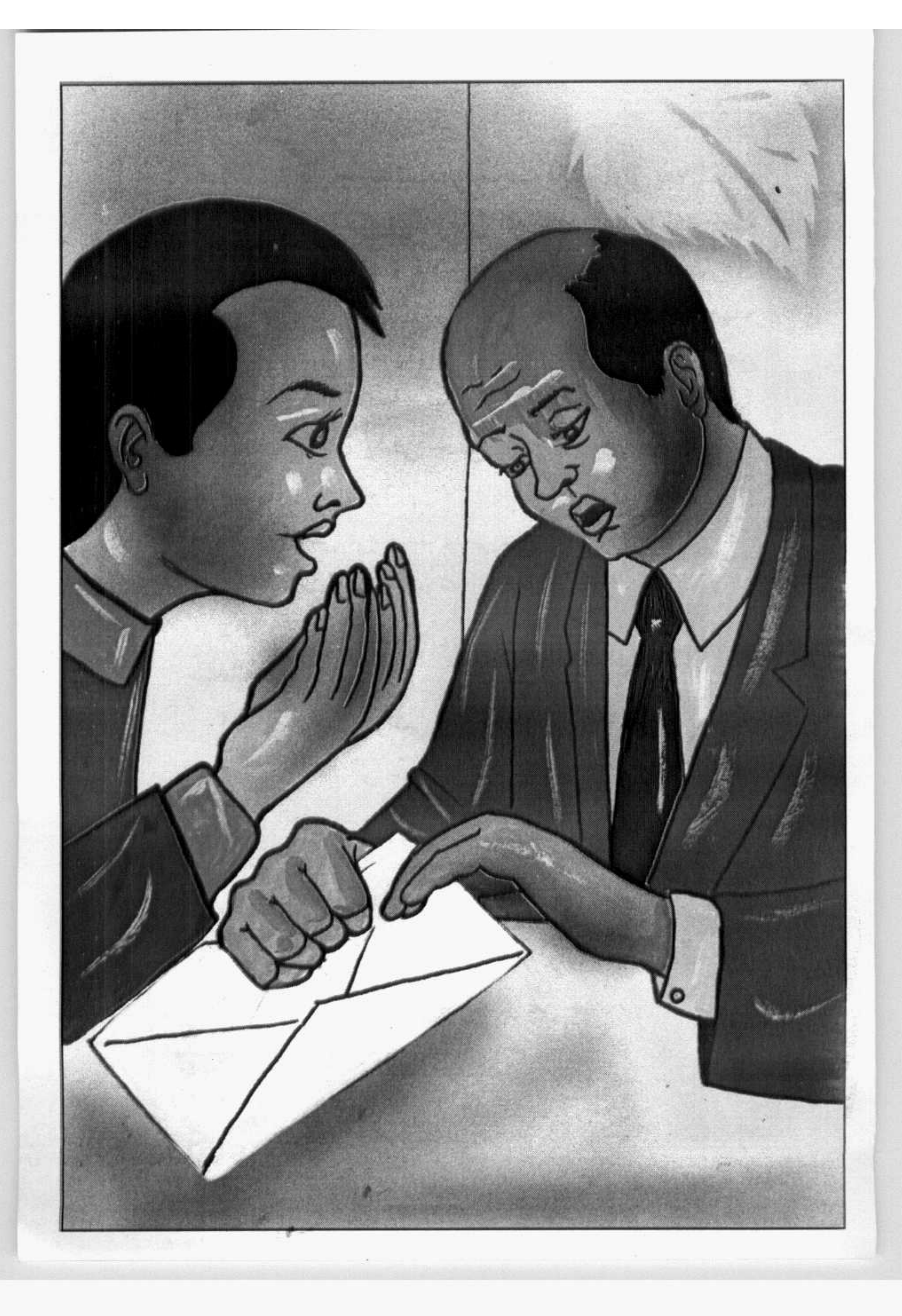
- أقبلت الرشوة؟

أجاب وهو يغالب دموعه:

- أجل، ليس عندى نقود لإجراء الجراحة، سيموت ابنى إذا لم..

قاطعته قائلا فى حدة:

- وهل تحل النقود الحرام المشكلة؟ ألم تتعلم قول رسول



الله ﷺ : « **كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به**»[1].

إن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ عندما أكل لقمة لم يعرف مصدرها، وخاف أن يكون خادمه قد أحضرها من حرام، راح يحاول إخراجها من جوفه، حتى أخرجها، وكاد يخرج روحه معها، وقال: خشيت أن ينبت جزء من جسدي من هذه اللقمة، فيكون مصيره النار.

فهل تقبل أن يشفى حسن. لينمو جسده من حـ ويكون مصيره جهنم؟

أطرق رياض فى أسف وأسى، وقال فى اضطراب:

ـ ماذا أفعل؟ أأتركه يموت أمام عينىّ؟

ـ لا.. ولكن لا تقبل الرشوة.. حتى لا يلعنك اﻟ سبحانه وتعالى.. قال رسول الله ﷺ :

« **لعنة الله على الراشى والمرتشى**»[2].

صاح رياض فى يأس:

ـ إنى أتعذب، ولكن لست أدرى ماذا أفعل؟

أجبته فى حماس:ـ لا تيأس من رحمة الله عز وجل وغادرت المكتب، وذهبت إلى المدير، وشرحت ظروف رياض، فقرر صرف مبلغا من راتبه، وقال آسفا:

ـ ليتنى أستطيع مساعدته بأكثر من هذا، ولكن قوا العمل لا تسمح.

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٢١).

(٢) حديث حسن: أخرجه أبو داود (٣٥٨)، والترمذي (١٣٣٧)



قلت في حماس: هذا المبلغ لايكفي شيئا، ولكننا نستطيع مساعدته كلنا.

سألني في اهتمام: ـ كيف؟

قلت: سيدفع كل منا ما يقدر عليه لرياض، فالمسلمين جسد واحد، وروح واحده، ولابد للمسلم أن يساعد أخاه في محنته.

فكر المدير فقلت لأقنعه بالموافقة:

ـ ألا تذكر قول النبي ﷺ: **«من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد، مادام العبد في عون أخيه»**[1].

أخرج المدير مبلغا من جيبه، وقدمه لي، وقال:

ـ أجل، لابد أن نساعد بعضنا البعض، بارك الله فيك.

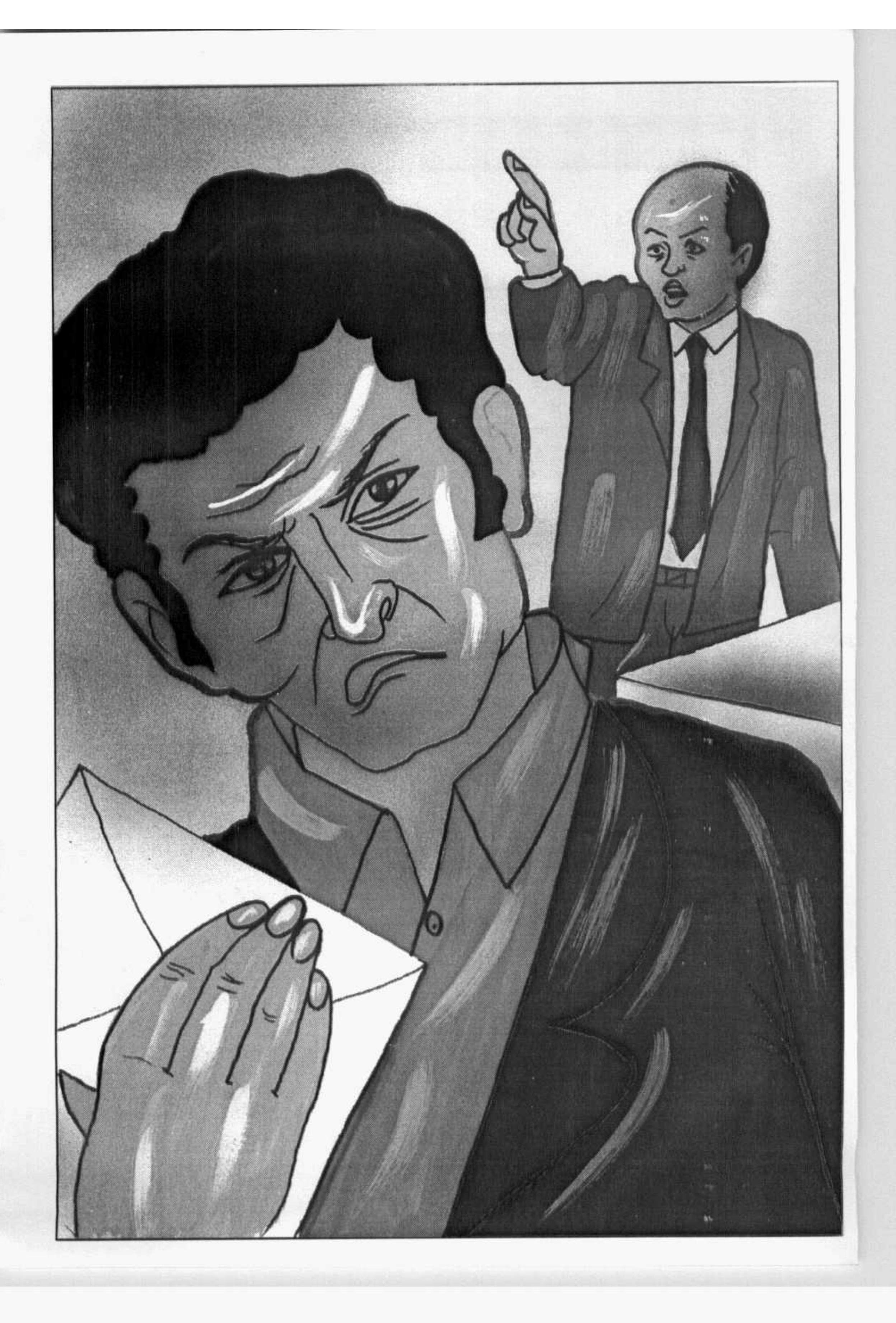
وأسرعت إلى بقية زملائي، وقدم كل منهم ما استطاع من مال، وذهبنا جميعا إلى رياض، الذي كان يجلس مطرقا في حزن ومرارة، وقدمنا إليه مظروفا ممتلئا بالنقود، فسألنا في دهشة:

ـ ماهذا؟

أجبت قائلا: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩).



«المسلم للمسلم كالبنيان المشدود، يشد بعضه بعضا»[1].

فتح رياض المظروف، واغرورقت عيناه بالدموع، عندما أبصر المال، وقال وهو يكاد يبكي:

ـ الحمد لله.. الحمد لله.. جزاكم الله خيرا.

وأسرع إلى المستشفى...

وفي اليوم التالي، عندما أقبل الرجل ليأخذ أوراقه، أعاد إليه رياض المظروف الأبيض، وصاح في وجهه:

ـ لقد كدت أن تجعلني أعصى الله سبحانه وتعالى:.. هيا.. أخرج من مكتبي، لا أريد أن أراك بعد اليوم.

صاح الرجل محتدا:

ـ وأوراقي؟

أجاب رياض:

ـ سأتعامل معها كما يملي عليّ ضميري.

وغادر الرجل المكتب يجر أذيال الفشل.

ومرت الأيام، ونجحت جراحة حسن بفضل الله عز وجل، وعادت الابتسامة الحلوة تملأ وجه رياض.

تمت بحمد الله.

رقم الإيداع ٨٧٩٥ / ٩٨